



المستشرق الفرنسي لامارتين LAMARTHINE ورأيه حول الرسول محمد

الدكتور حميدو عز الدين

قسم الترجمة والآداب- جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر

"الشرق شرق والغرب غرب لن يلتقي الاثنين أبدا. إن كل الذين لم يعمهم



التحيز سوف يلتقون في الدفاع عن محمد

ثلاث مقاييس أخرى:

بعد 14 سنة من إلقاء توماس كارلايل لمحاضرتة عن نبيه البطل (محمد



Hero Prophet) كتب رجل فرنسي اسمه لامارتين Lamarthine تاريخ الأتراك.

وبما أن الأتراك مسلمون فقد تناول لامارتين بعض جوانب الإسلام ومؤسسه.

ثلاث مقاييس موضوعية لاكتشاف عظمة القيادة، فقد فكر لامارتين منذ

قرن مضى في ثلاث مقاييس موضوعية لاكتشاف عظمة القيادة ، فقد فكر لامارتين

منذ قرن مضى في ثلاث مقاييس موضوعية أخرى لمنح العظمة. لا بد أن نعطي الفضل

للغربيين لهذا النوع من نفاذ البصيرة.

ويعتقد لامارتين أن إذا كانت عظمة الغاية ، وقلة الوسائل والنتائج المذهلة هي

المقاييس الثلاثة لعبقرية الإنسان فمن يجرؤ على مقارنة أي رجل عظيم في التاريخ



بمحمد ، وينهي لامارتين قطعته المطولة الأدبية الرائعة بالكلمات الآتية:

".....حكيم- خطيب - رسول - مشرع - محارب-هازم الأفكار الباطلة - ومحيي

المعتقدات العقلانية وعبادة بلا أصنام ولا صور-مؤسس 20 إمبراطورية دنيوية و

إمبراطورية واحدة روحية ذلك هو محمد.

بالنظر إلى كل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشريح لنا أن نسأل

هل يوجد أي إنسان أعظم منه؟ لامارتين (تاريخ الأتراك) باريس سنة 1854.

الإجابة عن هذا السؤال: "هل يوجد أي إنسان أعظم منه؟" واضحة في

السؤال نفسه، (إنه استفهام غرضه النفي) فكأنه يقول ضمنا "لا يوجد إنسان أعظم

الدكتور حميدو عز الدين

من محمد... ومحمد أعظم من عاش أبدا". قال تعالى: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))¹ لقد فعلت يا ربي بكل التأكيد.

قبل أن نبرئ لامارتين من أي تحيز أو محاباة أو من تهمة تقاضي الرشوة نتفحص بدقة مقاييسه الثلاثة ونرى إذا كانت قد تحققت في محمد (ﷺ).

1- عظمة الغاية : Greatness Of Purpose

التاريخ سيقول لك إنها كانت أكثر فترة مظلمة في التاريخ البشري عندما أمر محمد (ﷺ) أن يشهر بدعوته.²

كانت هناك حاجة لبعث الرسل في كل ركن من أركان العالم أو إرسال رسول واحد سيدا للجنس البشري كله ليخرجهم من الزيغ وخرافة المعتقدات والأناثية والوثنية والخطأ والظلم.

ليكون إصلاحا للبشرية كلها. والله القوي بحكمته اختار نبيه من مكان منعزل في جزيرة العرب ليكون رسولا للعالمين، لهذا يسجل في كتابه الشريف: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))³.

الآن لم يعد هناك سؤال عن السلالة ولا الأمة، ولا "الشعب المختار" أو "ذرية إبراهيم"، أو "ذرية داود" أو عن طبقة النبلاء عند الهندوس أو اليهود أو الأميين أو العرب أو العجم أو الفرس أو عن الترك أو الطاجيك أو الأوربيين أو الآسيويين أو البيض أو الملونين أو آري أو سامي أو مغولي أو إفريقي أو أمريكي أو استرالي أو بولونيزي (من سكان جزر بولونيزيا) وتنطبق المبادئ على كل الرجال والمخلوقات المسؤولة دينيا بلا استثناء. أعلى المقاييس:

تذكر كيف أن الله ذكر محمداً ﷺ بأفضل آداب العشرة المطلوبة منه.

((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ))⁴.

وما هو نطاق دعوته ومجال بعثته، إنها البشرية كلها! ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))⁵

¹ سورة الشرح، الآية: 04.

² كان إشهارة دعوته ﷺ للأمر الإلهي في قوله تعالى: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)). (سورة الحجر، الآية (94:))

³ سورة الأنبياء، الآية : 107.

⁴ سورة القلم، الآية: 04

رسول لكل العالم:

هذه الأشياء ليست مجرد أمور تافهة وعواطف أو مشاعر جميلة مجردة من الأفعال. فقد طبق محمد ﷺ ما وعظ به ودعا إليه. ومن بين الصحابة والمهتدين الأولين بخلاف العرب، كان بلال الحبشي وسلمان الفارسي وعبد الله بن سلام اليهودي من الممكن أن يقول الشكوكيين أن امتداده كان ببساطة مصادفة. لكن ماذا يستطيعون أن يقولوا عن الحقيقة التاريخية أنه قبل موته أرسل خمس رسائل ، واحدة إلى كل البلدان الخمسة المحيطة ، يدعوهم إلى دين الإسلام.

- 1- إمبراطور فارس
- 2- ملك مصر
- 3- نجاشي الحبشة.
- 4- إمبراطور الروم هرقل بالقسطنطينية
- 5- ملك اليمن.

وهو بهذا يضرب لنا مثلا في تنفيذ رسالته السماوية و"عظمة الغاية" وإصلاح البشرية كلها

بهدايتها للإيمان بالله. فهل يمكن أن يضارع أي دين آخر عالمية الإسلام. ولم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم لكي يسجل أو يحطم أي إقام قياسية وإنما بعث لكي يقوم بالمسؤولية التي أسندها إليه رب العالمين !

2- قلة الوسائل:

لم يولد محمد ﷺ وفي فمه ملعقة من فضة. إن حياته تبدأ برعاية محدودة مات أبوه قبل أن يولد، أما أمه فماتت ببلوغه السادسة من عمره. لقد كان يتيم الأبوين في هذه السن الحرجة.

ثم يقوم جده عبد المطلب برعاية هذا الطفل لكنه يموت أيضا بعد ثلاث سنوات. وما أن اشتد عوده حتى بدأ يرعى أغنام عمه أبي طالب من أجل طعامه. قارن هذا الطفل الفقير اليتيم الأبوين-العربي ببعض الشخصيات الدينية العظيمة التي سبقته ولا بد أن تعجب على ما كان يخفى له القدر.

الدكتور حميدو عز الدين

إن إبراهيم -عليه السلام- الأب الروحي لموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) كان ابن واحد من أنجح التجار في ذلك الوقت. وموسى عليه السلام رُبِّي في بيت فرعون، أما عيسى عليه السلام فبالرغم من وصفه في بعض الأناجيل بأنه "النجار ابن النجار" إلا أنه كان لديه إمكانيات مادية وتعليمية جيدة.

إن بطرس وفيليب وأندراوس... إلخ تركوا جميعاً أعمالهم وتبعوه ليكونوا رهن إشارته وطوع أمره ليس لأنه كانت هناك أي هالة⁶ فوق رأسه. لم يكن هناك شيء كهذا. لكن بسبب ملابسه الثمينة وعطاياه الكثيرة.

لقد كان بإمكانه أن يطلب لنفسه ولأتباعه قصورا في القدس في ذروة العيد و أن يطلب تجهيز اللوائيم السخية. وكان بإمكانه أن تسمعه يوبخ اليهود الماديين. "ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا أجابهم يسوع وقال الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات⁷ بل لأنكم أكلتم الخبز فشبعتم". لا شيء ليقدمه:

أما محمد -عليه السلام- فلم يكن يملك أي خبز أو لحم ليقدمه ولا مُسكرات من أي نوع لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر! والأشياء الوحيدة التي كان بوسعه أن يقدمها لقومه الرعاة الفقراء هي المحن والابتلاءات والقيود في حياتهم على الأرض والوعد بالملذات المرضية من الله في الآخرة. إن حياة النبي كانت كتابا مفتوحا أمامهم، لقد عرف من لَقُوا محمداً ﷺ وسلم نُبل أخلاقه وكمال غايته وجديته وحماسته المشتعلة من أجل الحق الذي جاء يدعوا إليه.

لقد كان السيد المطلق على العرب أجمعين. وماذا عن الإمكانيات اللانهائية التي كانت تحت تصرفه وقتها، سندع مبشر مسيحي يجيب عن ذلك. "لقد كان القيصر والبابا في شخص واحد لكنه كان بابا بدون خيلاء الباباوات والقيصر بدون حشود القياصرة بدون جيش متأهب- بدون حاشية بدون قلعة بدون دخل ثابت.

⁶ هالة حلقة خيرة خيالية تحيط برؤوس القديسات في الرسومات الدينية.

⁷ دلائل صدق رسالة المسيح ومهمته.

لو أن أي إنسان كان له الحق أن يدعي أنه حكم بالحق الإلهي فهو محمد. فقد كان يملك كل السلطات بدون أدواتها وبدون ما يدعمها".

(ر. بوسورث سميث-محمد والإسلام) لندن 1874 ص92)

العقبات التي قابلته:

إن (ضعفه) كان قوته

إن حقيقة أنه لم يكن يملك أي إمكانيات مادية لمساندته جعلته يضع ثقته التامة في الله. والله الرحيم لم يتخلى عنه ونجاحه كان مذهلاً.

أليس من حق المسلمين أن يقولوا بالعدل والإنصاف أن الإنجاز كان كله من

صنع الله، وكان محمد ﷺ أدواته؟

3- نتائج رائعة :

من " رجل واحد في مقابل جميع الرجال " على حد قول توماس كارلايل إلى 24 ألف (تابع) في حجة الوداع وحدها. فكم عدد الذين خلفهم من الرجال والنساء والأطفال كلهم مؤمنون؟

وفي 12 ربيع الأول في العام الحادي عشر بعد الهجرة الموافق 08 يونيو سنة 632 من العهد المسيحي بينما هو يصلي أو يدعو بإخلاص في همس فاضت روح الرسول العظيم إلى "الرفيق الأعلى"، حسب ما رواه (ابن هشام) في سيرته المشهورة.

وعند سماع سيدنا عمر رضي الله عنه النبأ الحزين عن وفاة الرسول الكريم فقد صوبه. لقد صدم بشدة حتى أنه قال بدون تفكير "سأضرب عنق من يقول أن محمداً قد مات!" وفي التو أكد سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه- للمسلمين أن سيدنا النبي ﷺ قد غادر الحياة بالفعل وهو خارجاً من حجرة النبي ﷺ. وأعلن ذلك للناس المحتشدين بالخارج. فقال خاطباً في الناس "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"⁸. هذا الكلام أعاد عمر الفاروق -رضي الله عنه- إلى صوابه.

⁸ وقرأ قول الله تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلِبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ)). (سورة آل عمران، الآية: 114)

الدكتور حميدو عز الدين

هل كان يستطيع ذلك الرجل الذي أصبح فيما بعد الخليفة الثاني للإسلام أن يتخيل أنه بعد 1400 سنة سيصل عدد أتباع محمد ﷺ إلى أكثر من مليار (1000 مليون) مسلم في عصر واحد؟

هل كان يمكنه تخيل أن دين هذا النبي سيكون أسرع الأديان نمواً في العالم. تقدمت المسيحية الإسلام بـ 600 سنة ، ويدعي المسيحيون أنهم يفوقون أي دين آخر من حيث العدد. هذا صحيح. ولكن دعونا ننظر للصورة من منظور صادق. هناك مسيحيون أعلنوا إيمانهم في العالم أكثر من المسلمين الذين يعلنون إيمانهم ولكن هناك مسلمون يطبقون الإسلام في العالم أكثر من المسيحيين المطبقين للمسيحية.

لقد تأخر ظهور الإسلام عن المسيحية بـ 600 سنة من الناحية الزمنية. لكن من المدهش أنه قريب منها جداً من حيث العدد ويلحقها بسرعة فهو أسرع الأديان نمواً. فهناك اليوم أكثر من مليار مسلم في العالم، إن الصورة مذهلة وإخلاص وتطبيق المؤمنين للإسلام مدهش.

وبالأخذ في الحسبان مقاييسه الثلاثة الموضوعية.

أ - عظمة الغاية La grandeur du dessein

ب- قلة الوسائل La petitesse des moyens

ج- النتائج المذهلة L'immensité du résultat

هل يجزؤ لمارتين على وضع مرشح آخر أعظم من محمد ﷺ ، إنه يملأ قراءه تعجباً مشوباً بالاحترام بسرده للأدوار المتنوعة التي قام بها محمد ﷺ بتفوق وامتنياز: "فيلسوف - خطيب- رسول - مشرع- محارب- هادم الأفكار الباطلة- محيي المعتقدات العقلانية وعبادة بلا أصنام ولا صور- مؤسس 20 إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية ذلك هو محمد.

والنظر إلى كل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشريحق لنا أن نسأل هل يوجد أي إنسان أعظم منه؟" لا يوجد!

لقد كان محمد ﷺ أعظم رجل عاش أبداً بالنسبة للامارتين المستشرق الفرنسي.

ويسأل الله القوي القدير أيضا: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ،
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ".⁹

وبالتأكيد فعلت يا إلهي.

صفة الرحمة

يتفاخر دعاة المسيحيين بأنه لا شيء في تاريخ البشرية يقارن بدعاة
عيسى المليء بالرحمة والمغفرة وهو على صليب كما يزعمون:(فقال يسوع يا
أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) (لوقا 23:34)
وإنه لأمر مثير للدهشة أن القديس لوقا هو وحده من بين مؤلفي الأناجيل
القانونية (المعتمدة) الذي ألهمه روح القدس (؟) أن يكتب تلك الكلمات .
أما الثلاثة الآخرون متى ويوحنا ومرقس فلم يسمعوا تلك الكلمات أبدا أو
شعروا بأنها تافهة أو ليست مهمة بما فيه الكفاية للتدوين . والقديس لوقا لم يكن
حتى واحد من (التلاميذ) الإثني عشر حوارى الذين اختارهم عيسى عليه السلام .
رحمة محمد صلى الله عليه وسلم

قارن مغفرة المسيح المزعومة من على "الصليب" بالفتح التاريخي لمكة الذي
لم تراق فيه قطرة دم واحدة بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم على رأس 10
آلاف من أصحابه القديسين المدينة التي عاملته بمنتهى القسوة وأجبرته هو أتباعه
المخلصين أن يجدوا مأوى وسط لغرباء ، وهو الذب وضع حياته و حياة أتباعه
المخلصين على كفه و مضطهديه القدامى القساة المتعجرفة قلوبهم الذين ألحقوا
الإنسانية بالعار و القسوة ، الرجال والنساء و حتى الأموات الذين بلا حياة كانوا الآن
تحت رحمته تماما. لكن في ساعة نصره نسي كل ما عاناه من شرور و عفا عن كل جرح
أنزلوه به وامتد عفوه العام ليشمل كل سكان مكة ...
سيد أمير علي في روح الإسلام .

إن جماهير المدينة المهزومة مثلوا أمامه فخاطبهم قائلا: ماذا تظنون أني فاعل
بكم اليوم ؟ إن قومه كانوا يعرفونه جيدا منذ أيام طفولته فأجابوا خيرا ، أخ كريم و
ابن أخ كريم ! و أدمعت عينا النبي صلى الله عليه و سلم وقال : "فإني أقول لكم كما
قال يوسف لإخوته :لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم طلقاء .

⁹ سورة الشرح، من الآية 1 إلى الآية 4.

الدكتور حميدو عز الدين

و الآن وقد حدث هذا الذي ليس له ما يوازيه في تاريخ العالم تقدمت
جموع فوق جموع واتحدت الإسلام دينا .

إن الله القوي يشهد على سلوك النبيل والرفيع لرسوله : « لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة »

ولقد كرر لامارتين بدون علم هذه الحقائق ببراعة فقال: وبالنظر إلى كل المقاييس التي
تقاس بها عظمة البشريحق لنا أن نسأل هل يوجد أي إنسان أعظم منه !!!?
ونحن نستطيع أن نجيب ثانية بقولنا :لا! لا يوجد إنسان أعظم من محمد صلى الله
عليه وسلم.

Mohammad et la naissance de l'Islam vu par le grand poète français et orientaliste LAMARTHINE

« Jamais homme, a-t-on dit de lui, ne se proposa,
volontairement ou involontairement, un but plus sublime, puisque ce
but était surhumain : saper les superpositions interposées entre la
création et le créateur, rendre Dieu à l'homme et l'homme à Dieu,
restaurer l'idée rationnelle et sainte de la Divinité dans ce chaos de
Dieux matériels et défigurés de l'idolâtrie.

« Jamais homme n'entreprit, avec de si faibles moyens. Une
œuvre su démesurée aux forces humaines, puisqu'il n'a eu, dans la
conception et dans l'exécution d'un si grand dessin, d'autres
instruments que lui-même et d'autres auxiliaires qu'une poignée de
barbares dans un coin du désert.

« Jamais, jamais homme n'accomplit en moins de temps une si
immense et si durable révolution dans le monde puisque, moins de
deux siècles après sa prédication, l'islam prêché et armé régnait sur les
trois arabises, conquérant à l'unité de Dieu la perse, le Khorassan, la
Transoxiane, le Caucase, l'Inde occidentale, la Syrie, l'Egypte,
l'Ethiopie, Tout le continent connu de l'Afrique septentrionale,
plusieurs îles de la Méditerranée, l'Espagne et une partie de la Gaule.

« Si la grandeur du dessein, la petitesse des moyens et
l'immensité du du résultat sont les trois mesures du génie de l'homme,
qui osera comparer humainement un grand homme de l'histoire
moderne à Mohamed ? les plus fameux n'ont remué que des armes,
des lois, des empires : ils n'ont fondé (quand ils ont fondé quelque
chose) que des puissances matérielles écroulés souvent avant eux.

Celui-la a remué des armées, des législations, des empires, des peuples, des dynasties, des millions d'hommes sur un tiers du globe habité : mais il a remué de plus des autels, des dieux, des religions, des idées, des croyances, des âmes. Il a fondé sur un livre, dont chaque lettre est devenue loi, une nationalité spirituelle qui englobe des peuples de musulmane, la haine des faux dieux et la passion de Dieu Un et immatériel. Ce patriotisme vengeur des profanations du ciel, fut la vertu des enfants de Mohamed : la conquête du tiers de la terre à son dogme fut son miracle, ou plutôt ce ne fut pas le miracle d'un homme, ce fut celui de la raison. L'idée de l'unité de Dieu, proclamée dans la lassitude des théologies fabuleuses, avait les vieux temples des idoles et alluma de ses lueurs un tiers du monde.

Sa vie, son recueillement, ses blasphèmes héroïques contre les superstitions de son peuple, son audace à affronter les fureurs des idolâtres, sa constance à les supporter quinze ans à la Mecque, son acceptation du rôle de scandale public et presque de victime parmi ses compatriotes, sa fuite enfin, sa prédication incessante, ses guerres inégales, sa confiance dans les succès, sa longanimité dans la victoire, son ambition toute d'idée, nullement d'empire, sa prière sans fin, sa conversation mystique avec Dieu, sa mort et son triomphe après le temps beau...attestent plus qu'une imposture, une conviction.

Ce fut cette conviction qui lui donna la puissance de restaurer un dogme.

Ce dogme était double, l'unicité de Dieu et l'immatérialiste de Dieu, l'un disant ce que dieu est, l'autre disant ce qu'il n'est pas ; l'un renversant avec le sabre des dieux mensonger, l'autre est inaugurant avec la parole une idée.

« Philosophe, orateur, apôtre, législateur, conquérant d'idées, restaurer de dogmes, fondateur de vingt empires terrestres et d'un empire spirituel, voila Mohamed.

A toutes les échelles où l'on mesure la grandeur humaine, quel homme fut plus grand. Il fut qu'un homme moins qu'un Dieu, un Prophète.

Ce vibrant hommage, ce n'est pas à un musulman qu'il est du, mais à un grand orientaliste français tiré de son livre « Histoire de la Turquie ».

C'est pourquoi, depuis plus de 14 siècles, tous les musulmans évoquent avec gratitude, dans leurs oraisons, le messager de Dieu.

- 1- قاسم السامرائي : الاستشرف بين الموضوعية والافتعالية - ط3- دار الرفاعي - الرياض - 1983- ص16.
- 2- يوهان فوك - تاريخ حركة الاستشرف - ترجمة : عمر لطفي العالم- ط2- دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا - 2001-ص(6-17).
- 3- باقربري - إضاءات على كتاب الاستشراق لـ "إدوارد سعيد " ط3 - دار الهادي - بيروت - لبنان - 2002- ص 18.
- 4- ادوارد سعيد - الاستشرف : السلطة ، المعرفة ، الإنشاء - ط5-بيروت - لبنان - 2001 - ص131.
- 5- المصدر نفسه - ص131.
- 6- الاستشرف : السلطة ، المعرفة ، الإنشاء، المرجع السابق، ص305.